مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 392– 410
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

نشأة و تطور المدينة الإسلامية و خصائصها المميزة لها

The Emergence and Development of the Islamic City and Its Distinctive Characteristics

مريم بوعامر

Meriem BOUAMER

جامعة أبي بكر بالقايد– تلمسان(الجزائر)، bouamermeriem010@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/26	تاريخ القبول: 2022/04/20	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص: إن ظاهرة التمدن والتمدين تعتبر أرقى إنجاز توصل إليه الإنسان، فهي وليدة الحضارة أو أنها الحضارة في حد ذاتها، وهي تتميز بخصائص حضارية عامة كانت نتاجا لعدة شروط يجب مراعاتها في تأسيس المدن، و المدينة الإسلامية هي انعكاسا لنظام عقائدي و اجتماعي و ثقافي فنسيجها الحضاري وتكوينها الفضائي جاء نتيجة لتفاعل الإنسان مع بيئته الحضارية تحت مفهوم عام هو الإسلام، وتعد يثرب النواة الأولى للمدينة الإسلامية ، وفيها تم تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد على ضوء قيم الإسلام وتعاليمه .

وقد أصبحت المدينة المنورة فيما بعد نموذجا للمدن الإسلامية الأخرى التي تم تأسيسها موازاة مع تواصل الفتوحات الإسلامية كالبصرة و الكوفة و واسط والقيروان، وأصبحت مراكز حضارية كبرى وعواصم للدول الإسلامية التي تأسست فيما بعد .

الكلمات المفتاحية: الأمصار، المدينة ، الحضارة ، المعسكر، يثرب.

Abstract :

The phenomenon of urbanization and sedentariness is considered the finest achievement reached by man, as it is the product of civilization or it is civilization in itself. It came as a result of man's interaction with his civilized environment under a general concept of Islam, and Yathrib is the first nucleus of the Islamic city, in which the new Islamic society was prepared in the light of the values and teachings of Islam.

Al-Madinah Al-Munawwarah later became a model for other Islamic cities that were established in parallel with the continuation of the Islamic conquests such as, -al-Baṣrah-Kūfa, Wāsiṭ and Kiroun, and they became major cultural centers and capitals of the Islamic states that were founded later.

Keywords: Al-Amsar, City, Civilization, Camp, Yathrib.

المؤلف المرسل: مريم بوعامر ، **الإيميل**: bouamermeriem010@gmail.com

1.مقدمة:

المدينة والتمدن أرقى انجاز توصل إليه الإنسان في استقراره على الأرض، وهي وليدة الحضارة ومركز الإشعاع الفكري و أسلوب متقدم من أساليب الحياة ، والمدينة الإسلامية لا تخرج عن هذا الإطار وهي المكان الحضاري الذي يتم فيه التفاعل بين الناس وفق قيم مقدسة يحترمها الجميع .

وقد عرف العالم الإسلامي بداية من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري تطورا عمرانيا كبيرا حدث خلاله ازدهار الحضارة العمرانية، وقد أعتمد هذا التطور أساسا على النظم التي جاء بها الإسلام من جهة و على الازدهار الاقتصادي وخاصة التجاري من جهة أخرى، وهو النشاط الذي يكمن وراء نشأة المدن وتطورها لارتباطها بشبكة المسالك التجارية .

و الإشكالية المطروحة في هذا البحث تتمحور حول مفهوم المدينة الإسلامية، وكيفية نشأتها والعوامل المساعدة على ذلك، وما مراحل تطورها وما هي الخصائص المميزة لها ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات التي تم طرحها اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي المتمثل في الوقوف على المصادر والمراجع التاريخية المتصلة بالموضوع لاستقصاء المعلومات التاريخية منها ، كما اتبعت المنهج المقارن المتمثل في المقارنة بين المدن التي نشأت في العالم الإسلامي .

ومن الأهداف التي يرمي إليها هذا البحث هو تسليط الضوء على تاريخ المدينة من خلال إيضاح كيفية نشأتها والعوامل المساعدة على ذلك، والتي كانت وراء إبراز الخصائص المميزة لها عن بقية المدن التي وجدت قبل ظهور الإسلام ومثلت صورة للحضارات الأخرى .

2. مفهوم المدينة و كيفية نشأتها:

1.2 مفهوم المدينة :

لغة

إن التطرق إلى موضوع المدينة الإسلامية يلزمنا قبل البدء فيه بشرح مفاهيم ذات صلة حتى تكتمل الصورة و تتضح المصطلحات، فلفظ المدينة له دلالات متعددة ومعان لغوية مختلفة بين المؤرخين والجغرافيين، وقد تطور مفهومها بتطور الأحداث التاريخية التي مر بها العالم الإسلامي.

يرجع أصل كلمة مدينة في اللغة العربية حسب ابن منظور إلى مدن بالمكان أي "أقام به" والمدينة الحصن يبنى في أصطمة الأرض وكل أرض يبنى بها حصن في أصطمتها –أي وسطها– فهي مدينة (جمال الدين ابن منظور ، 1994 ، ص402)

وفي معنى آخر مدن المدائن أي مصرها والمصر(**المصر**: هي كل وطن تقام فيه الحدود ويحله أمير المؤمنين ويقوم بنفقة ويجمع رستاقته، (أصل الكلمة الرزداق وجمعها رساتيق ومعنى الرزداق بالضم السواد والقرى أي المواضع التي فيها زرع وقرى أو بيوت مجتمعة)،(مجد الدين الفيروزأبادي،2008، ص: 635-638، المقدسي، 1919، ص 47) وردت كلمة مصر في القرآن الكريم بمعنى بلد، قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ** ﴾ (سورة البقرة الآية 61) والمراد بالبلد أي مصر من الأمصار وليس مصر فرعون. (ابن كثير الدمشقي، 2006، ص 101) كما جاء في شرح الكفاية "كل كورة يقسم فيها الفيئ والصدقات " (ابن الطيب الفاسي ، 1983، ص441) وجمعها أمصار أي المدن الكبرى والمدينة هي المصر الجامع، وهذا التعريف يتفق تماما مع نظرة الإسلام إلى الهيئة الاجتماعية ويعكس آراء الفقهاء بعدم إجازة الصلوات الجامعة إلا في الأمصار، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: " لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع"، وفي حديث أخر:" إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة "(جمال الدين أبو عبد الله بن يوسف الزيلعي، 1938، ص :195 ، وقد ذكر أنه حديث غريب مرفوع و موضوع عن علي رضي الله عنه)، واتفق الفقهاء على أن المصر" هو وطن مجتمع المنازل "، والمدينة تمثل ذلك بصورة واضحة (عبد الجبار ناجي، 2001، ص:51) ، ويأتي تحديد الماوردي في الأحكام السلطانية موافقا تماما لما ورد في هذا الحديث الشريف، إذ أشار بشأن صلاة الجمعة قائلا بأنه :" لا يجوز إقامة صلاة الجمعة إلا في وطن مجتمع المنازل " (أبي الحسن الماوردي، 1989، ص:134)

وهناك من اللغويين من يرجع أصل كلمة مدينة إلى كلمة "دين" ومعناها في الآرمية و العبرية "العدالة" وأوردها الحجازي في كتابه مدخل إلى علم اللغة أن أصل كلمة المدينة أرامي مأخوذ من لفظة "مدينتا" بمعنى "القضاء" وهو نفس المعنى في اللغة العربية (عبد الجبار ناجي، 2001، ص: 58) أما عند الآكاديين والآشوريين فكلمة "دين" تعني القانون أما كلمة "الديان" فإنها تعني في اللغة الآرمية و العبرية "القاضي" (مصطفى شاكر، 1988، ص :30) .

اصطلاحا :

تعددت مفاهيم المدينة بمعناها الاصطلاحي، ولهذه المفاهيم ارتباط وطيد بمدى نشأة المدن وتطورها وتركيبتها الاجتماعية، ويعرفها لويس ويرث(Louis Worth)على أنها نمط من أنماط التباين السكاني ومكان للإقامة يتميز بالكبر والكثافة يسكنه أفراد غير متجانسين، ويحدد ثلاث متغيرات تحدد طابع المدينة، أولها أعداد السكان، وثانيهما كثافة الإقامة وثالثهما التباين السكاني، أما روبرت بارك(Robert Parck) فيرى أن المدينة ليست مجرد تجمع

للناس أو مجموعة من النظم والإدارات، بل هي أيضا نتيجة لتفاعل ثقافات الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم المتوارثة ويحددها بأنها مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، فهي تعتبر منطقة ثقافية تتميّز بنمطها الثقافي . (محمد عاطف غيث، 1983ص:12-14)، وهذا التعريف يعتبر تعريفا شاملا للمدينة لأنه ينطلق من سبب نشأتها وهو تجمع الناس ثم يحدد علاقتها بتمدن الإنسان .

أما ماكس فيبر(weber max) وهو من الأوائل الذين حاولوا إيجاد تعريف للمدينة، فيرى أن هناك عنصرًا واحدًا مشتركًا بين التعريفات العديدة هو أنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة نسبيا، و تعتبر مكان إقامة مغلق، ويعرفها من الناحية الاقتصادية بأنها مكان يعيش فيه السكان على أساسً التبادل التجاري أكثر مما يعيشون على الزراعة. (أحمد علي إسماعيل، 1988، ص-ص 22-23)، وفي هذا التعريف إشارة إلى أهمية التبادل التجاري ودوره في نشأة المدن .

أما رالف لنتون(Ralph Linton) فيعرفها في كتابه "شجرة الحضارة" على أنها جماعة تعيش على مبادلة المنتوجات المصنوعة والخدمات اللازمة للحصول على الطعام والمواد اللازمة الخام، ويعتمد وجودها الفعلي على هذه المبادلة عكس القرية التي يحصل سكانها على المواد الخام من المناطق القريبة جدًا منهم ويضيف أيضا أن المدينة ليس لها حد أعلى معروف لعدد سكانها .(رالف لنتون، شجرة الحضارة، 2010، ص 198)

أما من الناحية التاريخية فيمكن تعريف المدينة على أنها وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الإنساني منذ زمن يرجع إلى سبعة آلاف سنة، فهي بحق أعظم منجزات الإنسان الحضارية فقد عرفها الإنسان المدني منذ الألف الثالثة قبل الميلاد(مصطفى عباس الموسوي، 1982، ص 15)، وهي ثمرة لتطور تاريخي بعيد المدى نتجت عن غرس مدني نشأ تلقائيا أو بمطلب ذاتي وأدت إلى قيام مراكز عمرانية على حواف الأنهار، فنشأت حولها مختلف الحضارات القديمة . (رحيمة فرخي، إسماعيل بن السعدي، 2014، ص 345)

ومن هنا يتضح لنا أن المدينة شبيهة بالكائن الحي ومرتبطة بالحضارة، وهو ما يؤكده الباحث أزفالد شبنجلر (Azveld Chpingler) حيث يقول: "إن كل حضارة تمر بمرحلة العمر ذاتها التي يمر بها الإنسان، فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها " (أزفالد شبنجلر،1984، ص 218)

إن هذا المفهوم للمدينة يوضح لنا أن المدن القديمة نشأت ثم تطورت بتطور الحياة العامة للبشر وتزايد عدد السكان، ولقد عرفت حضارات المنجزات الشرق القديم كالسومرية والفرعونية أعرق المدن التي لا تزال شاهدًا على المنجزات الحضارية الكبرى .

2-2 نشأة المدينة :

هناك العديد من النظريات التي حاولت تفسير كيفية نشأة المدن، ومن هذه النظريات نظرية كارل وايت فرجل (Karel Witt Fogel)، وفحوى هذه النظرية أن نشأة المدينة ارتبطت بالحاجة إلى استغلال الماء وتنظيم أعمال الري (محمد عبد الستار عثمان، 1978، ص 43) و تؤكد هذه النظرية على ضرورة وجود الماء كشرط أساسي في بناء وتخطيط المدن، وهو الشرط الذي ذكره ابن خلدون وابن الأزرق.

أما نظرية روبرت أدمز(Robert Admez) فتعتمد على أن تطور الزراعة يؤدي إلى الاختصاص في الإنتاج والحصول على أراضي جيدة، وهو ما يؤدي بدوره إلى ظهور طبقات اقتصادية فنتج عن ذلك الحاجة إلى التنظيم الجيد فتنشأ المدينة الدولة (محمد عبد الستار عثمان ، 1978، ص44) ، ولعل هذه النظرية هي الأقرب إلى الدقة لأن نشأة المدن مرتبط ببداية ممارسة النشاط الزراعي والاستقرار حول مصادر المياه كضفاف الأنهار وسواحل البحار خاصة منطقة بلاد ما بين النهرين التي ظهرت فيها العديد من المدن وأقدمها مدينة أور (عبارة عن مرفأ جبلي يقع عند ملتقى دجلة والفرات غربي البصرة على بعد 150 كلم منها، وقد غمرها الطوفان سنة 4000 ق.م، وهي المدينة التي ولد فيها إبراهيم الخليل،(ينظر: مصطفى فواز، د ت، ص 23) التي نشأت جنوب العراق إضافة إلى لجش والوركاء، أما في الوسط فقد نشأت مدينة بابل (تعني باب الإله، أنشئت على سهل فسيح بين دجلة والفرات وكانت مدينة مزدهرة في عهد حمورابي وكانت تحتوي على مباني هامة ومنها برج بابل وقد خربت عام 689 ق.م على يد ستخريب، ينظر: مصطفى فواز، د ت، ص 24) وكيش وأكاد، أما المجموعات الشمالية فتضم مدينة نينوي وآشور وأباد.(أحمد علي اسماعيل، 1988، ص:47-48) .

و على ضفاف نهر النيل نشأت أيضا عدة مدن مصرية ارتبطت نشأتها بالدين، أي بإنشاء المعبد الذي يمثل مركز الحياة والعمران في المدن المصرية، وكان مقر الإله يقوم وسط العواصم الإقليمية في مبنى شامخ ويشرف على الأبنية من حوله، ولعل أهم مدينتان يمكن الإشارة إليهما هما كاهون بالفيوم وأخيناتون عاصمة أخناتون. (عبد الباقي ابراهيم ، دت ،ص ص:23-24).

ولم تقتصر نشأة المدن القديمة على ضفاف نهر النيل ونهر دجلة والفرات فقد نشأت مدن أخرى في شبه القارة الهندية، حيث تم العثور في حوض نهر السند على آثار مدينتين قديمتين هما هارابا (Harappa) وموهنجوا دارو (Mohenjo Daro) وهما ترجعان للألف الثالثة قبل الميلاد، حيث توجد مدينة هارابا على ضفاف نهر رافى أحد روافد نهر السند ويقع في غربها حصن قوي يحيط به صور ضخم .(أحمد علي إسماعيل، دت، ص ص: 50-49).

أما في الصين فقد ازدهرت عدة مدن وخاصة في حوض نهر هوانج منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وكانت معظم مدنها ذات وظائف دينية وإدارية ولكنها كانت تقوم أيضا بوظائف تجارية تشمل التجميع وإعادة التوزيع في الفائض من المنتجات الزراعية والمصنوعات اليدوية، وكان من أبرز معالم المدن الصينية وجود الأسوار والحصون وقد انتشرت المدن المسورة في الشرق والجنوب حتى نهر يانجستي في القرون الأولى من الألف الأولى للميلاد ثم أخذت في الانتشار غربًا على طول طريق الحرير في القرن الثالث الميلادي. (أحمد علي إسماعيل، دت، ص ص: 50)

وإذا كانت المدن القديمة التي نشأت حول السهول الفيضية سواءًا في العراق أو في مصر أو الهند أو الصين فقد ارتبطت في قيامها بالزراعة، فإن مدن شرق البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا قد ارتبطت في نشأتها بالتجارة، حيث كانت التجارة أحد أهم عوامل نشأتها، والدليل على ذلك أن جماعات الفينيقيين التي كانت تعمل بالتجارة والنشاط البحري انتقلت من الساحل الشرقي للبحر المتوسط وأنشأت عدد كبيرًا من المدن في شمال إفريقيا وحتى في جنوب إسبانيا وغربها(أحمد علي إسماعيل، دت، ص:52).

وقد شهدت أيضا الحضارتين اليونانية والرومانية خلال هذه الفترة نشأة العديد من المدن بعد أن انتقل إليها مشعل الحضارة وأصبحت مركز إشعاع حضاري، ومن أهم مدن الإغريق مدينة أثينا التي تقع في سهل أتيكا الأوسط، وقد كانت المدن اليونانية Polis (أي دولة المدينة) (جمال حمدان، دت، ص 82) محدودة في حجمها لأنها انعكاس اجتماعي للفكر الإغريقي الذي كان نابغا من المثل الأخلاقية اليونانية (أحمد علي إسماعيل، دت، ص 53-55) فكانت المدينة تمثل الدولة كوحدة صغيرة لها بؤرة مركزية لحياتها ونشاطها، والتي لا يكون المجموع فيها كبيرا جدًا مساحة أو سكانًا حتى لا تحول دون الحكم الصالح، ونتيجة لذلك فإن المدن اليونانية كانت تخضع لحد أرقى من النمو فإن تجاوزته تطلب ذلك إنشاء مدينة جديدة. (جمال حمدان، دت، ص 82) .

أما المدن الرومانية التي كانت تبنى وفقا لطقوس معينة وتمتاز بطابعها الخاص في تخطيط مبانيها والمدينة المثالية هي التي كانت تشغل مربعا ومستطيلا. (رحيمة فرخي،إسماعيل بن السعدي، 2014، ص348) والشوارع الرئيسية تمتد شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وتتوسط المدينة عند تقاطع الطرق الساحة الرئيسية المسماة بالفورم (Forum) وتدار فيها الأمور السياسية وأمور السلم والحرب ويعين الموظفون ويطبق القانون (مصطفى فواز،دت، ص 26)، وقد اشتهرت العمارة الرومانية باستعمالها للأسمنت وخاصة الخرسانة للإسراع في بناء التحصينات والأسوار، ومن أهم مدن الرومان العاصمة روما وبولينيا في إيطاليا وآرل وليون في فرنسا والمشهورة بمسارحها الدائرية، أما في البلاد العربية فمن أهم المدن الرومانية نذكر: مدينة جوش في الأردن وتدمر في سوريا

وبعلبك في لبنان، وقد كانت هذه المدن ثغورًا صحراوية ترتبط بالطرق الرومانية ولعبت أدوار هامة في النشاط الاقتصادي (أحمد علي إسماعيل، دت، ص 63- مصطفى عباس الموسوي، 1982، ص 18) أما في شمال إفريقيا فقد أنشأ الرومان العديد من المدن أهمها: تيمقاد وقرطاجة وجميلة (مصطفى فواز، دت، ص-ص: 26-28)

3. مفهوم المدينة الإسلامية

قبل التطرق إلى نشأة المدينة الإسلامية لابد من محاولة إيجاد تعريف دقيق لها، فمصطفى شاكر يعرفها على أنها : " جماع الحضارة الإسلامية في كافة نواحيها، فهي صورة المجتمع الإسلامي من جهة ومجال تطبيق نظمه السياسية وموضع تحصيناته وتصوره للسلم والحرب ومركز اقتصادي وإداري ومكان مؤسساته الثقافية ومرافقه...، وهي بدورها قد تطورت كل التطور على مر القرون الإسلامية من جهة " .(مصطفى شاكر، 1988، ص ص: 10-11)

أما سعيد ناصف فيعرفها بأنها: "بناء اجتماعي يتكون من مجموعات من الأفراد تتفاعل مع بعضها وتسيطر الأنشطة التجارية والصناعية والخدماتية على بنائها المهيء، وهي تختلف عن تلك الأنشطة التي يمارسها السكان في الريف..، كما أنها مقر لإقامة الحكام والخلفاء ومركز لإدارة الأقاليم التابعة للدولة الإسلامية وبخاصة إذا كانت عاصمة مركزية... بالإضافة إلى وجود المسجد الجامع والذي يحتل مركز الوسط في المدينة، تحيط به مجموعة من المساجد الصغيرة والزوايا " (سعيد ناصف، 1999، ص 49)

فالمدينة الإسلامية إذا ليست مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب، بل هي أولا وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتغيير وتنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الإسلامي إذ امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية، لهذا فالمدينة الإسلامية تعد انعكاسا لنظام عقائدي واجتماعي وثقافي فنسيجها الحضاري وتكوينها جاء نتيجة لتفاعل الإنسان مع بيئته الحضرية تحت مفهوم عام هو الإسلام .(ميادة عبد الملك محمد صبري، دت ، ص 09)

1.3 النظرة الاستشراقية للمدينة الإسلامية:

لقد اختلفت نظرة المستشرقين (الاستشراق: كلمة يراد بها في مدلولها اللغوي التوجه نحو الشرق، وأطلقت كلمة مستشرق لأول مرة سنة 1830 على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية ثم أطلقت بعد ذلك على من عرف لغات الشرق، محمد فاروق نبهان،2012، ص-ص:11-12 ويحي مراد، 2004، ص-ص: 7-8) للمدينة الإسلامية حسب منطلقاتهم وتصوراتهم للمدينة، والجدير بالذكر أن معظم الدارسين لها قد جردوها من طابعها الإسلامي عندما

أخضعوها لأحكام المدن الرومانية و الإغريقية والتي تعد حسبهم مقياسا للمدينة. (مصطفى شاكر، 1988، ص 14، البشير بوقاعدة، 2013، ص 45)، ويرى أحد هؤلاء المستشرقين وهو جون لوي ميشون(Jean Loui Michon) أن المدينة الإسلامية شأنها شأن المدن الرومانية القديمة، فما هي إلا جماعة كبيرة من الأفراد الذين يمثلون لقوانينها، كما أنها تضم كل من يتخذ الإسلام دينا ويشعر بالانتماء لهذه المدينة وبأنه مواطن فيها سواءًا كان منفردا أو في جماعة مقيما كان أم مرتحلا من أهل الحضر أم من أهل البادية .(جون لوي ميشون، 1983، ص 13)

أما المشترق ليو بولد تورس بالباس الدارس لتاريخ المدن الإسبانية الإسلامية فيرى أن المدن الإسلامية في الشرق والغرب على السواء كانت تنقصها لائحة قانونية إدارية ومبان إدارية، فلم تكن تشكل كيانا سياسيا بل كانت منظمة على هيئة معسكرات تسمح للعامة من المواطنين بأداء واجباتهم الدينية والتمسك بمثلهم الاجتماعية العليا، ويضيف أيضا أن الشريعة الإسلامية لم تنص على شيء خاص بتنظيم المباني ولا بموقعها أو خصائصها ولا بالتخطيط أو بعرض الشوارع والمباني والمحيط بها .(جون لوي ميشون،1983، ص 13)

ويذهب ماكس فيبر(weber max) إلى أكثر من ذلك حيث يرى أن مجتمع المدينة أو المجتمع الحضري بمعناه الكامل لم يتحقق إلا في الغرب وأن وجوده في بعض أجزاء من سوريا ولبنان والعراق ليس سوى استثناءا(سعيد ناصف، 1999، ص ص: 46-47)، وأما المستشرق إكسفير بلانهو(Iksfir Blanhoo) وهو من أشد المتحاملين على الإسلام فقد صور المدينة العربية الإسلامية في كتابه "العالم الإسلامي"، بأنها مدينة تعمها الفوضى في التخطيط وأنها ضعيفة التماسك والوحدة على عكس المدن الرومانية ومدن أوربا في العصور الوسطى كما يرى أن الإسلام لم ينجح في إيجاد البديل للتمدن الأوربي والمدن الأوروبية التي خضعت للفاتحين العرب مما جعلهم يقلدون التمدن القديم (عبد الجبار ناجي، 2001، ص 33) .

ويتفق معه أيضا في هذا التصور المستشرق الإنجليزي ستيرن (Stern) الذي يرى أن المدينة الإسلامية خالية من المؤسسات وبشكل خاص النقابات كما أن خططها (الخطط: الأرض التي ينزلها الإنسان ولم ينزلها قبل نازل أو ما يخطه الإنسان لنفسه من الأرض أي يجعل لها حدودًا، ليعلم أنه نازلها وأنها له، ثم اتسع معناها وصار يقصد به الحي الذي تختص به القبيلة، أو صاحب مهنة واحدة أو طائفة من الناس عند تعمير مدينة من المدن، ينظر: مصطفى عزب،1997 ، ص 61). مقتبسة من خطط جاهزة للمدن اليونانية القديمة كالشوارع والسوق المركزي وأنها لا تحتوي على وحدة تركيبية وأن بنيتها العمرانية مضطربة.(عبد الجبار ناجي، 2001، ص 35، محمد عبد الستار عثمان، 1978، ص 08)، وأما المستشرق لامينس(lammens) البلجيكي فينتقد المدن

الإسلامية الأولى ويرى أنها تفتقر إلى الصورة المنظمة، فهي مدن نامية يقتضي لنجاحها أن تكون خططتها سلطة مركزية،وقد ذهب المستشرق هنري بيران(Henri Biran) إلى أبعد من ذلك فقد كان أكثر تحاملا وسلبية على المدن الإسلامية حيث يعزو السبب إلى انحطاط و تدهور تجارة أوربا وتجار البحر المتوسط إلى الفتوحات الإسلامية وأطلق عليها تعبير الغزو الإسلامي، ويرى أن التقدم الإسلامي قد جلب الدمار إلى أوربا القديمة ووضع حدا لرخاء منطقة البحر المتوسط. كما أنه ساعد على انحطاط اقتصاد مدن المنطقة مثل: مارسيليا وبروفانس. (عبد الجبار ناجي، 2001، ص ص: 32-33)

إن هذه الانتقادات الإستشراقية لمفهوم المدينة الإسلامية وخصائصها تعبر عن انعكاس مباشر لمقارنة هؤلاء الباحثين وغيرهم للمدن الإسلامية بالمدن الإغريقية والرومانية، كما أن لهم نظرة ضيقة عن مقومات الحضارة الإسلامية وهذا ما ينفيه مصطفى شاكر قائلاً: " ليست مدينة الرومان أو الإغريق أو المدينة الغربية بالمثل الأعلى الذي يجب أن يكون القياس عليه أو النموذج الذي يمكن أن يجمع الصفات الكاملة فلكل مجموعة من المدن في رقعة معينة ملامحها." (مصطفى شاكر، 1988، ص 14) ، ورغم هذه الآراء السلبية حول المدينة الإسلامية إلا أن هناك من المستشرقين من أنصف المدينة الإسلامية ونظر إليها نظرة إيجابية على أنها مدينة عربية ذات كيان مستقل وترتيب منظم، ومن أبرز هؤلاء المستشرقين لويس ماتسيون (Louis Matison) المهتم بالدراسات التمدنية ، وقد عالج على ضوئها العناصر التي تميزت بها المدينة العربية وهي أربعة أولها العنصر الخاص بالمسائل المالية والصرف ويقصد بها الدواوين والصيارفة، أما العنصر الثاني فهو القيسارية (القيسارية، اسم محرف عن الكلمة اللاتينية caesarea وهو اسم أطلقه الرومان على مستودعات البضائع التي كانت تقام في المدن، محمد المعتصم، 1980، ص 241) والعنصر الثالث السوق، أما العنصر الرابع فيتمثل في وجود المدرسة الجامعة.(عبد الجبار ناجي، 2001 ص ص: 28-29).

وممن أنصف المدينة الإسلامية وأعطاها حقها وجعل أساساها الإيديولوجي مرتبطا بالإسلام وفضائله الباحث جورج مارسيه(Georges Marçais) في بحثه عن الإسلام والتمدين وبحثه الآخر مفهوم المدن في الإسلام (مصطفى شاكر،1988، ص ص: 12-13).

وأما الباحث روجي لتورنو(Roger Le Tourneau) فيرى في تصوره للمدينة الإسلامية أن ميزتها الأساسية تكمن في شكلها يتوسطه المسجد الجامع والسوق المركزية، وأن حجمها واتساعها مرتبط بمدى توسع المسجد والسوق، وأن شكلها لا يكتمل إلا إذا كانت دار الإمارة قريبة من هذا المسجد، ويضيف أن المدينة تكون محاطة

بأسوار تأخذ شكلا دائريا أو مربعا و بها أبواب صلبة وكثيرًا ما تؤدي زيادة النمو السكاني إلى تجاوز تلك الأسوار، أما الأبواب فتكون لها أسماء ذات دلالة (Roger Le Tourneau 1975, p–p : 112.)

3–2 النواة الأولى للمدينة الإسلامية:

تعد يثرب أول مدينة إسلامية أنشأها المسلمون، فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها أصبحت تسمى "المدينة المنورة" وحدث تغيير واضح سعى إلى تحقيقه الرسول الكريم لإرساء الدعوة إلى الإسلام، ذلك أن الدين الذي بدأت على ضوء قيمه وتعاليمه عملية تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد، وأصبحت الحياة الحضارية تتلازم تماما مع منهج اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل المراكز الحضارية الإسلامية، لذلك اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ البداية إلى إحلال العصبية الدينية محل العصبية القبلية فوحد البطون والعشائر والقبائل تحت راية الإسلام. (محمد عثمان عبد الستار، 1987، ص45، مصطفى نبيل، 1999، ص 19)

ومن الناحية المادية فإن موضع المدينة عبارة عن سهل فسيح يتميز بخصوبة تربته وكثرة مياهه تحيط به الحرات من جهاته الأربع، وموقعها موقع واحة إستراتيجية، وهي مدينة قوافل تتصل ببادية نجد من الشرق ومنها إلى العراق وتتصل بالبحر الأحمر من الغرب، وتقع على طريق القوافل بين اليمن والشام فهي بوابة الجزيرة العربية .(مصطفى نبيل، 1999، ص 23)، وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية، أما بعد الهجرة فقد بدأت تتغير معالمها العمرانية تغييرا جمع شتاتها ووحد كيانها وجعلها مركزًا حضاريا متكاملاً وبهذه الهجرة صارت للنبي صلى الله عليه وسلم صفة جديدة هي صفة رئيس الدولة الإسلامية بجانب الصفة الأساسية الأولى وهي صفة النبوة، ومن ثم أصبحت مركزًا سياسيا وإداريا فاكتسبت الصفة المدنية . (محمد عثمان عبد الستار، 1987، ص–ص: 46–47)

وكانت الخطوة الأولى في عملية التسيير وإنشاء الجماعة هي بناء المسجد النبوي الذي كان مركزا للصلاة والعبادة، إضافة إلى كونه مركزا سياسيا واجتماعيًا وحضاريا وملتقى علميا مما جعله يشكل مركز الثقل في المدينة وحوله تبلورت الأنشطة الاقتصادية (خالد مصطفى غرب، 1997، ص–ص: 48–49، عبد الباقي إبراهيم، دت ، ص 33) وقد بنيت قبلة المسجد الأولى في اتجاه الشمال نحو بيت المقدس وفي السنة الثانية للهجرة عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوي، قال تعالى ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة البقرة، الآية 144)

وإلى جوار المسجد باشر الرسول صلى الله عليه وسلم تحديد وظائف المدينة من الداخل فبنى مساكنه إلى جوار المسجد، وحوله اختطت منازل المهاجرين في الأرض التي وهبها الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان للأصول السكنية القبلية دور كبير في توزيع السكان في أحياء المدينة بحيث أن كل حي تقطنه أسرة أو قبيلة، وكان توزيع الخطط من مسؤولية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره الحاكم، وقد أعطى ذلك التوزيع نظرة مستقبلية لامتداد العمران في المدينة المنورة .(خالد مصطفى غرب، 1997، ص–ص: 53–54، مصطفى شاكر، 1988، ص 305) .

ويشير ياقوت الحموي إلى ذلك قائلا: " فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة مهاجرًا أقطع الناس الدور و الرباع، فخط بني زهرة من ناحية مؤخرة المسجد، فكان لعبد الرحمان بن عوف الحصن المعروف به، وجعل لعبد الله وعتبة ابن مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهما عند المسجد، وأقطع الزبير بن العوام بقيعا واسعا، وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره ولأبي بكر رضي الله عنه موضع داره عند المسجد، وأقطع كلا من عثمان بن عفان وخالد بن الوليد والمقداد وعبيد والطفيل وغيرهم موضع دورهم، فأخذ يقطع أصحابه هذه القطائع فمن كان في عفا من الأرض فإنه أقطعهم إياها، وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه إياها فكان يقطع من ذلك من شاء" .(ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ج5، ص 86)

ويشير هذا النص أن الرسول أقطع القطائع للأشخاص واتجه إلى الجمع بين ذوي القربى في موضع واحد، مما يوضح أن المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تضمنت خططا عدة، وكل خطة كان يقطنها أفراد ينتمون إلى قبيلة أو عشيرة ، وتوزعت المساجد على خطط المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث بلغ عددها تسعة في خطط المهاجرين، وكان المصلون يسمعون أذان بلال من مسجد الرسول "المسجد الجامع" مما يدل على أن هذه المساجد كانت قريبة من المسجد الجامع، وفي ذلك إشارة إلى اشتمال الأحياء السكنية (الخطط) على المساجد التي تلبي حاجات المصلين وتصلى فيها الصلوات الخمس، أما الصلوات الجامعة فكانت تقام في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المسجد الجامع . (عبد الله بن إدريس، 1982، ص 173)

وقد اشتملت المدينة أيضًا على ساحة فناء تقام فيها صلاة العيد في الخلاء عرفت بمصلى العيد يخرج إليها أهل المدينة لصلاة العيد. (خالد غرب، 1997، ص 55، عبد الله بن إدريس، 1982، ص 173)

وخصصت بالمدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دور للضيافة واستقبال الوفود، كان من أهمها دار عبد الرحمن بن عوف الكبرى وكانت تسمى "دار الضيفات" أو "دار الأضياف" (ابن سيد الناس، ج2، 1980، ص

222) ودار الأرملة بن الحارث الأنصارية التي نزلتها وفود غسان وبني ثعلبة وعبد قيس وبني فزارة .(السمهودي، 1971، ص 739)

و نظرا لأهمية السوق في استقرار المدينة، فهو مصدر الكسب والتجارة والحرف واستكمالا لمرافق المدينة قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحديد موقع السوق وجعل للمدينة سوقا واحدة وقال: "هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج " (ابن سيد الناس، 1980، ج1، ص 326. السمهودي، 1971، ص 326)، وجعله يقوم على أسس إسلامية جديدة وأقر نظام المراقبة في الأسواق، وكان يمر بنفسه في السوق و يوضح الأسس الإسلامية في التعامل واستعمل عمير رضي الله عنه على سوق المدينة، وبعد فتح مكة استعمل سعد بن العاص على سوقها، وجعل إقامة السوق في وسط المدينة ليكون أجمع للمسلمين وأكثر ضررًا لليهود الذين أصبحوا بعيدين عن المدينة . (مصطفى شاكر، 1988، ص 307).

وعنى الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا بصيانة الطرق والشوارع وحفظها من عدوان الناس، وقد تنوعت الطرق بين رئيسية تتصل بمسجد الرسول وتفرعت منها شوارع فرعية تتوغل داخل خطط الأنصار والمهاجرين وأخرى طرق تجارية تعبر المدينة من الشمال إلى الجنوب ، وكان عرض الطريق الأعظم الذي يصل بين مسجد الرسول ومصلى العيد عشرة أذرع (5 أمتار) بينما يتراوح عرض الطرق الجانبية بين خمسة أذرع وست وسبع. (السمهودي، 1971، ص-ص: 725-732)

ولضمان نظافة الشوارع و لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعى إلى إماطة الأذى عن الطريق باعتبار أن تلك شعبة من شعب الإيمان حددت مواضع لقضاء الحاجات تسمى المناصع، كما حدد مواضع أخرى للذبح بعيدة عن المواضع المزدحمة بالمارة . (مصطفى شاكر، 1988، 302. عثمان عبد الستار، 1978، ص 54)

كما سن الرسول صلى الله عليه وسلم إنشاء مقرات للعلاج والتطبيب، فقام بعد رجوعه من غزوة الخندق بوضع خيمة في المسجد للتداوي، فاقتدى به الحكام وأهل البر والخير وسعوا إلى إنشاء البيمارستانات لتوفير العلاج لأهل المدينة والقادمين إليها . (عثمان عبد الستار، 1978، ص 53)

و حرصًا على سلامة المسلمين قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحصين المدينة من أضعف الجهات وهي الجهة الشمالية، ففقد استشار أصحابه وأخذ برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث قال: " إنا كنا بأرض فارس إذا خندقنا علينا فإن ذلك من مكايد الحرب"(جورجي زيدان، 2012، ص 52) وهي إشارة إلى اعتماد مبدأ الشورى في أمور الحرب كما أنه يجب علينا أن نأخذ من الأمم التي سبقتنا ما يفيدنا ويرفع مقدرتنا على مجابهة الأعداء،

وقد قسم الرسول أصحابه إلى مجموعات يتكون كل منها من عشرة أشخاص كلفوا بحفر أربعين ذراعا وبذلك يكون اشترك في الحفر ثلاثة آلاف من المسلمين.

واستكمالاً لأعمال التحصين حصنت جدران المنازل القريبة من الخندق والتي بينها وبين العدو مسافة قصيرة (جورجي زيدان، 2012، ص–ص: 57–58) ، ولما وصلت جيوش قريش والأحزاب في السنة الخامسة للهجرة تريد مهاجمة المدينة وجدوا أمامهم الخندق ومن ورائه السد الترابي تولاهم الغيظ لأنه لم يكن لهم بمثل هذا التحصين خبرة سابقة وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 25)

ويتضح مما سبق ذكره أن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت هي المدينة الأم لميلاد المدينة الإسلامية، وكانت النموذج الأساسي لكل المدن سواءًا في جوانبها الإدارية والسياسية أو في مؤسساتها المادية.

4: تطور المدينة الإسلامية

إن التطورات التي صاحبت حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أدت إلى تأسيس قواعد عسكرية تحولت فيما بعد إلى مدن كان لها دور في تطور عمارة المدن الإسلامية، ويشير Lombard إلى ذلك بقوله: أن مصدر المدن الإسلامية هو عبارة عن مركز عسكري محصن(Lombard, 1971, p 80)، و أول هذه المدن الإسلامية التي تأسست مدينة البصرة (معنى البصرة الأرض الرخوة الضاربة إلى البياض أو فيها بياض أو تعني الأرض الطينية الحمراء، وأرض البصرة كذلك لوقوعها في نهاية السهل الرسوبي المحاذي لحافة الصحراء، فعند اختلاط الصخور الكلسية المنتشرة برمال الصحراء بالطمى الرسوبية تصبح الأرض رخوة فيها غلظة تضرب إلى البياض، إذن فكلمة بصرة مأخوذة من الطبيعة الجغرافية لتربة المنطقة ينظر: ابن منظور، 1994، ص 67) التي اختطها عتبة بن غزوان سنة 14 هـ بأمر من الخليفة عمر رضي الله عنه فبنى المسجد ودار الإمارة بجانبه ثم أمر ببناء خطط المدينة، وجعل لكل قبيلة خطة خاصة بها فيها أسواقها ومقابرها. (ابن حوقل، 1992، ص 212–213، أنور الرفاعي، د ت، ص 483–490)

وازدادت أهمية البصرة باتساع جبهتها في الفتوح و زيادة المهاجرين إليها فبدأ تطورها منذ ولاية أبي موسى الأشعري سنة 17هـ إلى 25هـ (638م–654م)، حيث ازداد حجم السكان واختلطت القبائل بعضها ببعض لعدم وجود خطط مستقلة (عبد الجبار ناجي، 2001، ص 160) ولإعادة تنظيم المدينة شرع أبو موسى الأشعري في تغيير هيئتها فبنى المسجد ودار الإمارة باللبن والطين وزودها بالمياه الصالحة للشرب.(البلاذري، دت، ص 347)

و بتطور الأحداث تحولت البصرة من مجرد معسكر حربي إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة تجسدت فيها الحياة العربية الإسلامية، وعلى نفس النمط خطت مدينة الكوفة سنة 17هـ/ 638م على يد سعد بن أبي الوقاص.(البلاذري، د ت، ص ص: 489-490) وكان تأسيسها إحدى الضروريات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح الإسلامي لبلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب الذي أصدر أمره إلى سعد أن يتخذ للمسلمين دار هجرة و قيروانا.(البلاذري، د ت، ص 277) فأصبحت مكانا يرابط فيه الجنود المسلمون مع أسرهم وأطلق عليهم المقاتلة أو المهاجرة . (مصطفى الموسوي، 1982، ص:112)

وفي الوقت نفسه الذي أخذت فيه كل من البصرة والكوفة تنميان عمرانيا وتتمازجان اجتماعيا اختط عمر بن العاص بأمر من الخليفة عمر الفسطاط(الفسطاط: لفظ مشتق من فاستون Fasston باللاتينية أو اليونانية ومعناها ما هو محاط بخندق، ينظر: أنور الرفاعي، د ت، ص356) سنة 21هـ (641م) بمصر وتعد أول مدينة عربية جديدة أنشأت في شمال إفريقيا، وكانت قاعدة ومعسكر تنطلق منه الفتوحات في بلاد المغرب ، وأول ما بدأ به عمر هو تشييد المسجد الجامع والذي يسمى بالجامع العتيق أو جامع عمرو وهو أقدم الجوامع الإسلامية. (محمد المعتصم، 1980، ص 236، مصطفى غرب، 1997، ص 60)، وكان إلى جانب هذا المسجد مساجد أخرى خاصة بالقبائل تقع داخل خطط تلك القبائل فإذا كان يوم الجمعة انظموا إلى مسجد الجماعة ومن هذه المساجد مسجد لخم ومسجد عنترة بن ربيعة ومسجد بني عوف .(ابن عبد الحكم، دت، ص-ص: 142-143) وأصبحت هذه المساجد تعرف فيما بعد باسم مساجد الصلوات الخمس، وقد قامت بدور كبير في الحياة المدنية (مصطفى خالد غرب، 1997، ص 63-64).

و قد احتوت خطط مدينة الفسطاط أيضا على أسواق خاصة بها و مطاحن وأفران وحمامات ، واستكمالا لخدمات ومرافق المدينة سارع عمرو بن العاص إلى تخصيص مكان لدفن الموتى ، وللحفاظ على أمن المدينة بنى نوعا من المنشآت أطلق عليها اسم "المحارس" ويرجح أنها عبارة عن نقاط متفرقة في المدينة بغرض إقامة الجند، ولكنها لم تكن حصونا أو قلاعا كبيرة، ولعلها تحولت فيما بعد إلى بوابات عليها حارس طول الليل وهو ما شاع في العديد من المدن الإسلامية.(مصطفى خالد عزب،1997، ص 56-67).

ومن أهم المدن التي أنشأها المسلمون أيضا مدينة واسط بالعراق سنة 82هـ، وقد أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي واختار لها موقعا وسطا بين الكوفة والبصرة رغبة منه في إدارة العراق من موضع آخر غير الكوفة أو البصرة و يؤمن السيطرة الكاملة عليها. (مصطفى الموسوي، 1982، ص 113-114)

ويروى لنا بحشل عن كيفية تأسيس مدينة واسط على يد الحجاج بن يوسف أنه قال: " اتخذ مدينة بين المصريين أكون بالقرب منهما، أخاف أن يحدث في إحدى المصريين حدث وأنا في المصر الآخر فمر بواسط القصب فأعجبته فقال: "هذا واسط المصريين فكتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في بناء مدينة بين المصريين فأذن له" (بحشل، 1986، ص 38)

كان هذا سبب التأسيس من جهة، ومن جهة أخرى أراد الحجاج عزل جند الشام عن الاتصال بأهل الكوفة والبصرة لأن سكان هاتين المدينتين كانوا يعتنقون أفكار وآراء معادية للحكم الأموي (مصطفى عباس الموسوي، 1982، ص91)

لذلك يمكننا القول أن مدينة واسط تختلف من حيث نشأتها عن المدن التي سبقتها والتي كانت تستلزم إستراتيجية عسكرية، أما واسط فقد نشأت بناءًا على عوامل سياسية شخصية، أو وفقا لما كان يواجهه الخليفة أو الأمير من تحديات سياسية وهو الحال نفسه في مدن بغداد وسامراء والزهراء والقطائع والمهدية، والتي يمكن إطلاق تعبير "مدن الأمراء" أو "مدن الخلفاء عليها" ، ولم يقتصر العرب الفاتحون على إنشاء مدن جديدة في وطنهم من الخليج إلى المحيط بل كانوا رواد المدينة في جزء من أوروبا حيث فتحوا الأندلس سنة 92هـ/ 711م و أنشأوا العديد من المدن كغرناطة وقرطبة و إشبيلية.(مطهري فاطمة،2015، ص:91)

إن المدن التي أنشأها المسلمون خاصة خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادي عديدة ، وهناك من يشير أن عدد المدن التي أوجدها المسلمون خارج جزيرة العرب يزيد عن مئتي مدينة فضلاً عن القلاع والحصون والأسياف والأسواق تحولت بعضها إلى مدن وبقيت تحمل أسمائها الأولى (فؤاد عائد جاسم كركجة، 2011، ص 311)، كما عمد المسلمون أيضا إلى تعمير ما خرب من مدن كانت موجودة قبل الفتح وإعادة تجديدها وفق تخطيط العمارة الإسلامية، كما شجع الحكام المسلمون على تعمير المدن وتشجيع أهلها على ممارسة أعمالهم وتوسعها كما كان اختيار المواضع الصالحة لإنشاء المدن مدعاة إلى المنافسة في إعمارها وتوفر المرافق الأساسية بها من ماء عذب وأسواق ومساجد وطرق، فتطورت المدن العربية الإسلامية وازداد عمرانها في فترة وجيزة مقارنة بتطور غيرها من المدن (فؤاد عائد جاسم كركجة، 2011، ص 311)، وأصبحت مدن ذات معايير حضارية واضحة مميزة في تكوينها الاجتماعي الذي كيف بين عناصر متباينة اجتماعيا وحضاريا وانعكست مراحله في تكوينات المدينة المعمارية ونشاطات الحياة المختلفة فيها (عثمان عبد الستار، 1978، ص 64)

وقد أدى هذا التطور إلى ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية والرباطات والزوايا كمؤسسات دينية ارتبطت نشأتها بالتصوف، وكان لظهور هذه المؤسسات في نهاية القرن الخامس الهجري وانتشارها في المدن الإسلامية

واهتمام الجهات الرسمية بإنشائها أثره البالغ في تطور المدن وازدياد عمرانها في العصر العثماني، كما تطور عمران المدن الإسلامية و ارتبط بتغيير الخارطة السياسية للعالم الإسلامي في مختلف العصور(عثمان عبد الستار ،1978، ص ص 70-71)

5. خاتمة:

خلاصة القول أن المدينة الإسلامية تتميز بخصائص حضارية عامة تتسم بالصفة الإسلامية، كما أن الإسلام يعتبر منهج حياة في جميع مجالات المدينة الإسلامية ، وأن نظمه وأحكامه هي المحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المدينة بأسرها و بكل تفاصيلها وجزئياتها وجوانبها المختلفة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية و أيضا في شكلها المادي ، وبما أن المدينة مرتبطة ارتباطا عميقا بالحضارة الإسلامية فقد وجدت في التشريع الإسلامي دستورا مهيئا سارت عليه حركة حياة المجتمع، فالإسلام دين مدني صالح لكل زمان ومكان أعطى واقعا ملموسًا للمدينة الفاضلة، وكان سباقا في وضع أسسها ، وعلى هذا الأساس فنشأة المدينة الإسلامية مرتبطة بمعايير حضارية إسلامية تأثرت إلى حد كبير بتعاليم الإسلام وتطور حضارته .

ويتضح مما سبق أن المدينة الإسلامية تتسم بطابع يميزها عن غيرها من المدن الأخرى، ويبرز ذلك من خلال تخطيطها وعمرانها وفي شكلها الخارجي وتركيبها الداخلي، فقد كان الإسلام هو المحرك الأساسي لها، وكانت تعاليمه تحكم حياة الجماعة فيها وتنظم أنشطتها المختلفة.

6.قائمة المراجع :

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

- ابن حوقل أبو القاسم النصبي ، (1992) ، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي و اليسر،(1980) ، تحقيق لجنة حفظ التوراث، ط2 ، بيروت.
- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان، فتوح مصر وأخبارها،(د،ت) تحقيق: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ابن منظور جمال الدين أبي الفضل، (1994)، لسان العرب، المجلد 13 ، دار صادر، بيروت ،لبنان .
- بحشل، (1986)، تاريخ واسط، ط1، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب ، بيروت .

- البلاذري أحمد بن يحي بن جابر، (د ت)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.
- الدمشقي ابن كثير،(2006) ، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .
- الزيلعي جمال الدين أبو عبد الله بن يوسف ، (1938) ، نصب الراية لأحاديث الهداية ، ج 2 ،ط 1 ، دار ابن حزم .
- السمهودي ، (1971) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج2، تحقيق: محمد محي الدين، بيروت.
- الطبري، (1986)، تاريخ الرسل والملوك، ج3، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة .
- الفاسي ابن الطيب،(1983)، شرح كفاية المتحفظ، ط1، تحقيق: علي حسين البواب ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.
- الفيروزأبادي مجد الدين محمد بن يعقوب،(2008)، القاموس المحيط ، مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد دار الحديث، القاهرة .
- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (1989) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط1، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة ،الكويت .
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ، (1988)معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت.
- إبراهيم عبد الباقي، (د ت) ، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر.
- إسماعيل أحمد علي(1988)، دراسات في جغرافية المدن، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .
- بالباس ليوبولد توروس، (2003)، المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: إليودورو دي لاينيا ، مركز الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- بن إدريس عبد الله،(1982)، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
- جميل عبد القادر، (2020)، أكبر عمارة الأرض في الإسلام، طبعة إلكترونية .
- حمدان جمال، (د ت) ، جغرافية المدن، ط2، عالم الكتب، القاهرة .
- خالد عزب مصطفى، (1997)، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، ط1 ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الإسلامية ، قطر.

- الرفاعي أنور ،(1997) الإسلام حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والدينية و العلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق.
- زيدان جورجي،(2012)، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، مؤسسة هنداوي، للتعليم والثقافة، مصر
- شاكر مصطفى،(1988) ، المدن في الإسلام في العصر العثماني، الطبعة الأولى.
- شبنجلر أزفالد،(1984)، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- طويل الطاهر،(2011)، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للفرن الأول الهجري إلى القرن الخاص الهجري، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية ، تلمسان.
- عثمان محمد عبد الستار، (1978)، المدينة الإسلامية ،مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .
- غيث محمد عاطف، (1983)، علم الاجتماع الحضري، دار النهضة العربية، بيروت .
- فواز مصطفى، (د ت)، مبادئ تنظيم المدينة، سلسلة الكتب العلمية الميسرة، معهد الإنماء العربي .
- لنتون رالف،(2010)، شجرة الحضارة، جّ1، ترجمة: أحمد فخري، المركز العربي للترجمة، القاهرة.
- مراد يحي ، ،(2004) ، معجم أسماء المستشرقين ، ط1، لبنان ،منشورات الكتب العلمية، بيروت .
- الموسوي مصطفى عباس ،(1982)، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، الجمهورية العراقية.
- ناجي عبد الجبار،(2001)، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ط1، ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان ، بيروت.
- ناصف سعيد، (1999)، المدينة الإسلامية دراسة في النشأة والتحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- نبهان محمد فاروق، (2012) ،الاستشراق تعريفهُ– مدارسه– آثاره، ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، المملكة المغربية ، الرباط .
- نبيل مصطفى، (1999)، مدن لها تاريخ، دار الهلال، القاهرة .

- بوقاعدة البشير،(2013)، خراب المدن بالمغرب الأوسط الأدنى، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، جامعة بوزريعة، الجزائر.

- مطهري فاطمة،(2015)، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان . الجزائر

عبد الملك محمد صبري ميادة ، (د ت)، تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية، مدينة دمشق القديمة نموذج لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي، مجلة واسط، العدد 11.

- فرخي رحيمة ، بن السعدي إسماعيل،(2014)، واقع المدينة القديمة في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد 42.
- كركجة فؤاد عائد جاسم،(2011) جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها، مجلة أبحاث،نينوى، المجلد 11، العدد 1.
- المعتصم محمد، المدينة الإسلامية وخصائصها،(1980) ،حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الثاني .
- ميشون جون لوي(1983) ، المؤسسات الدينية، سلسلة مقالات حول المدينة الإسلامية، إشراف ر. ب شرجنت، ترجمة: أحمد محمد تعلب، اليونسكو.

- **المراجع** باللغة الفرنسية :

- Louis Lombard, L'Islam dans sa premiére grandeur(VIIIe-XIe siécle), Flammarion, Paris, 1971.
- Roger Le Tourneau, Les villes Musulmanes de l'Afrique du nord, la maison des livers, Alger. 1975